مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على السالكين وعلى آله وصحابته الكرام، أهل الفضل والإحسان، ومن تبع سنتهم وسار على طريقتهم إلى يوم الدين، وعلى تابعيهم أجمعين.

أما بعد:

فإن الحديث عن مصادر التفسير عموما، وعن القرآن خصوصا، أمر شاق وعسير، ويتطلب التنقيب في الموسوعات العلمية المتخصصة والأصول الصحيحة المعتمدة، وحيث إن هذا الموضوع من الأهمية بمكان، وقل من تعرض له من المتقدمين من أهل العلم بالتصنيف المستقل[1]، وإن كانوا أدخلوه ضمن الحديث عن علوم القرآن، إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قد طرق كثيرا من أبوابه في كتابه أصول التفسير، لذا فقد هممت بعد التردد الكثير والإحجام الوفير أن أتطفل على أهل الاختصاص، بذكر شيء يسير مما لم يذكره الناس، سواء في ذلك العام أو الخاص، وأن ألخص بحثا في هذا المصدر العظيم، تلخيصا غير مخل، مع بسط ما تدعو الحاجة إليه بسطا غير ممل، وأحليَه بشيء

(١) صنف ابن المناديِ - رحمه الله - تعالى - كتابا بعنوان: متشابه القرآن طبعته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بتحقيق فضيلة شيخنا عبد الله الغنيمان - حفظه الله - تعالى - لكنه ليس مما نحن بصدد الحديث عنه، فالكتاب في الأشباه والنظائر من آي القرآن، لاغير. ثم وقفت - في مؤلفات ابن الجوزي - على كتاب بعنوان: تذكرة المنتبه في عيون المشتبه، وقد قال عنه حاجي خليفة في كشف الظنون: (٣٩١/١): إنه في القراءة، وقد أورد فيه متشابه القرآن. أهـــ.

ومنه نسخة خطية في مكتبة المخطوطات في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة ضمن مجموع رقم: (٣٢٢٦) ويقع في ١٩ ورقة.

من عيون المسائل، ونكت الدلائل، وأن أتشبه بالأوائل، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((من تشبه بقوم فهو منهم))(١)، وقال أيضا: ((من أحب قوما حشره الله في زمرهم))(٢)، وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: الرجل يحب القوم ولـمّا يلحق بهم قال: ((المرء مع من أحب))(٣)، أسأل الله - تعالى - وهو خير مسؤول وأكرم مأمول - أن يحشرني مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصّدّيقين والشهداء والصالحين، ومن قرأه(٤)،

---

(١) خرجه الإمام أحمد في المسند: (٧/١٢١)، وأبوداود: كتاب اللباس بابٌ في لبس الشهرة: (٤/٤٤)، من حديث ابن عمر، وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) أخرجه الطبراني من حديث أبي قرصافة، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨١) وقال: وفيه من لم أعرفه. أهـ.

(٣) خرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل: (٨/٤٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب: (٤/٢٠٣٤) كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) من السنن المأثورة أنْ إذا دعا المسلم أن يبدأ بنفسه، ثم يثني بغيره، لماروى الطبراني عن أبي أيوب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((أنه كان إذا دعا بدأ بنفسه))، وكذلك ماورواه أبو داود من حديث أُبي رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم: ((أنه كان إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه))، وهذا وإن لم يكن مطردا من فعله - صلى الله عليه وسلم - فقد ورد ما يخالفه، إلا أن هذه هي طريقة القرآن وديدن الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - قال نوح - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيت مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ﴾، وقال الخليل - عليه الصلاة والسلام -: ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾، وقال أيضا: ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ وقال الكليم - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾.

وسمعه، واستفاد مما فيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ومن الباري جل وعلا أستمد العون والسداد، وأستلهم منه الحكمة والرشاد، وأسأله أن يوفق للصواب وأن يعين على إتمام المراد، فهو أهل ذلك، وإ ن استزاد العبد زاد ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وما كان فيه من صواب فمن الله - تعالى - فهو المان به عليّ، وما كان فيه من خطأ فمن استزلال الشيطان الرجيم، ومن نفسي الأمَّارة بالسوء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تمهيد

وقد آن الأوان للشروع في الموضوع، والدخول في القصيد الذي انتصبنا له، مع ضعف الهمة، وفقد الأزمة، فأقول وبالله التوفيق:

إن هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله - تعالى - على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وجعله معجزة باقية إلى أن يأتي أمر الله هو من كلامه، - تعالى - تكلم به على الحقيقة، وألقاه على قلبه بواسطة رسوله جبريل - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ نزل به الروح الأمين﴿على قلبك لتكون من المنذرين﴿بلسان عربي مبين ﴾[1] وقال: ﴿ إنه لقول رسول كريم﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴿تنزيل من رب العالمين ﴾[2] فأخبر أنه قول رسول كريم، ثم بين أنه منزل من عند الله، وأن إضافته إلى الرسول إضافة تبليغ لاغير، فقال: ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ وقد تحدى الله به الإنس والجن، وجعله معجزة باقية لنبيه - صلى الله عليه وسلم - إلى يوم الدين، فقال - عز وجل -: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[3]، وقد ثبت في الحديث عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا، أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)) متفق عليه[4] واللفظ لمسلم.

---

(١) سورة الشعراء الآيات: (١٩٣-١٩٤-١٩٥).

(٢) سورة الحاقة آية: (٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣).

(٣) سورة الإسراء آية: (٨٨).

(٤) خرجه البخاري، في كتاب الاعتصام، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - بعثت بجوامع الكلم: (١١٣/٩)، ومسلم كتاب الإيمان: (١٣٤/١) كلاهما من حديث أبي =

فكل نبي أعطاه الله - تعالى - معجزة تحدى بها قومه من جنس ما برعوا فيه، وشاع لديهم، وقد ذكر القرآن الكريم معجزات بعض الرسل الكرام، ولعل من المناسب للمقام أن أوضح بعض الأمثلة الواردة في القرآن، فأقول:

- **معجزة إبراهيم:**

إن من نظر في قصة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مع قومه، وتدبرها كما شرحها القرآن الكريم وجد أنه قد أعطي عددا من المعجزات الباهرة، والبراهين القاطعة، لإقناع قومه، كالقوة والمقدرة على الحِجَاج والمناظرة، قال الله - تعالى -: ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾[1] وقال - عزوجل -: ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[2] لأنه في زمنه قد عظم سلطان الجدل، والمناظرة، فأعطاه الله القدرة الباهرة على هزيمتهم، فلما أفحمهم بالمناظرات وهزم باطلهم لجأوا إلى القوة فعمدوا إلى التخلص منه - وهذه حجة كل ضعيف - فقال بعضهم لبعض - كما أخبر الله به عنهم -: ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ۞ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾[3] فأكلت النار الحطب ولم تحرق إبراهيم، ولم تضره في شيء، وهذا خلاف طبيعة النار، لكن الذي خلقها هو الذي سلبها طبيعتها، من الحر والإحراق، معجزة لإبراهيم، والسبب في هذا أن قومه يكذبون بالخالق،

= هريرة.

(١) سورة الأنعام آية: (٨٣).

(٢) سورة البقرة: (٢٥٨).

(٣) سورة الأنبياء الآيتان: (٦٨، ٦٩).

وينكرون الأسباب، ويؤمنون بأن الطبيعة هي الفاعلة، فأظهر الله هذه المعجزة على يديه، خرقا للطبيعة، فسلب الله النار قوتها من إحراق، وإتلاف لما يلقى فيها، خلافا لطبيعتها، تحديا للطبائعيين الذين يقولون بوجوب نفوذ الأسباب، واتساق سنن الطبيعة، وأنها هي الفاعلة في الكون والمدبرة له، والمسيرة للأفلاك، فأبطل الله كيدهم، وأحل بهم الخسار: ﴿ وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ﴾[1]

قال الزمخشري في الكشاف[2]: فإن قلت: كيف بردت النار وهي نار؟

قلت: نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال، كما كانت، والله على كل شيء قدير. اهـ

- معجزة موسى:

كذلك موسى - صلى الله عليه وسلم - أعطاه الله - تعالى - من المعجزات الباهرة ما أذل بها فرعون، واستزله عن ملكه وسلطانه كاليد والعصا التي تنقلب حية، حتى خيل لفرعون وقومه أن هذا لون من ألوان السحر، فجمع السحرة للنزال والمغالبة، لأنه قد كثر السحر في عصره كثرة لم يسبق لها نظير فأراد الله - جل وعلا - أن يتحداهم بأعظم ما لديهم، وهو السحر، فلم يستطيعوا هزيمة موسى والتغلب على سحره - بزعمهم - مع أنه لم يعرف عنه تعلم السحر ولم يؤثر عنه النظر فيه، مما دفع السحرة إلى الإيمان به، والإقرار بأن ماجاء به حق، وصدق من عند الله، وليس بسحر، كما لبس به فرعون على قومه، فاستخف قومه، فأطاعوه، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين.

قال الله - تعالى -: ﴿ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ۞ حقيق على

(١) سورة الأنبياء آية: (٧٠).

(٢) الكشاف: (١٦/٣).

ألا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان﴿مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين﴿يأتوك بكل ساحر عليم﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴿قالوا ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴿وألقي السحرة ساجدين﴿قالوا آمنا برب العالمين﴿رب وموسى وهارون ﴾[1]

- **معجزة عيسى:**

وتأمل معجزة عيسى - صلى الله عليه وسلم - كيف كانت مناسبة للمجتمع الذي بعث فيه؟!! ففي عصره اشتد طغيان الطب، وعظم سلطانه، وكان فيه وقبله وبعده من أباطرة الطب ماهو معروف لمن له بصر بهذا الفن، فمن زمن إِسقْلِيْبِيُوس[2] - مؤسس هذا العلم وواضع قاعدته، ولبنته الأولى، - مرورا بأفلاطون، وأبقراط الحكيم حامل لواء الطب عند اليونان، ومذيع أسراره، وكاشف أستاره، إلى عصر جالينوس، بعد عصر المسيح، - عليه الصلاة السلام - فقد كان الأطباء يداوون المرضى، من عامة العلل ويتم الشفاء على أيديهم، وكان الطب في زمنهم حكمة يلقيه الأول للآخر، ولم تدخله المطامع الدنيوية، وكان أطباء اليونان يحتكرون تعليم هذا العلم، إلا لمن كان من نسل إِسقْلِيْبِيُوس، بوصية وعهد منه، لكن أبقراط نقض هذا العهد، وأبطل هذه الوصية، لما وجد أن من بقي من نسل

(١) سورة الأعراف: من آية: (١٠٣) إلى آية: (١٢٢)

(٢) يزعم اليونانيون أنه إدريس - عليه السلام - فالله أعلم.

إسِقْلِيْبِيُوس ليس أهلا لحمل هذه الأمانة، والقيام بأعبائها، فعلَّمه للغرباء، ونشر مسائله، وأسس مدارسه، وبنى البيمارستانات[1] لتلقي المرضى العلاج، فكان الناس في زمن المسيح - عليه السلام - على هذه الحالة من الاستشفاء، ونيل الدواء لطرد الداء، فلما بعث الله المسيح - عليه الصلاة والسلام - أعطاه معجزة من جنس ما ساد بها عظماءُ العصر، بل هي أكبر وأجل، وهي شفاء الأمراض المستعصية، التي يقر سائرالحكماء، وخيار الأطباء بأنه لاعلاج لها عندهم، وهي ذهاب لون الجلد بالبرص، وذهاب نور العين خلقة فهو يبرىء الأكمه، وهو: من يولد أعمى خلقة، فهذا لاعلاج له عندهم، بخلاف من كان مبصرا فأصابه العمى، فقد يجدون له دواء بل تحداهم بما لاقدرة لهم عليه ألبتة، وهو إحياء الموتى، ورد ما فقدوه من أرواحهم، وهذا شيء قد أخرس لسان الطب، ولاوصول لهم إليه بل قد تحداهم بأعظم من ذلك كله، وهو أنه يخلق من الطين كهيئة الطير، كما قال - جل وعلا - على لسان عيسى -: ﴿ ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾[2] ولم يقدر الأطباء على علاج هذه الأمراض، أو يرووا الوصول إليها، أو يقتحموا حصونها، أو يتسوروا جُدُرَهَا، فأي تحد أعظم من هذا التحدي.

لكن معجزات هؤلاء الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - لم تدم ولم تبق بعد موتهم، وإنما كل نبي تنتهي معجزته معه.

---

(١) البيمارستان: هو مكان استقبال المرضى للعلاج، بمثابة المستشفى في زماننا فهي مركبة من بيمار: أي مريض، وستان: أي أرض، أو مكان، وانظر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص: (٤٣).

(٢) آل عمران آية: (٤٩) .

- معجزة نبينا محمد:

ثم بعد هذا بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وجعله خاتم النبيين، وأرسله إلى قوم أميين، وأنزل عليه هذا الكتاب المبين، وجعله معجزته الباقية الباهرة إلى يوم الدين، فأخرس بها ألسنة الفصحاء وقطع بها دابر البلغاء أن يعارضوه، فكان هذا القرآن أعظم حجة تحداهم به، مع براعتهم في البلاغة، ومهارتهم في الفصاحة، اللتين تفوق فيهما المجتمع القرشي على غيره من المجتمعات العربية الأخرى وذلك أن اللغة العربية تكامل نضجها، وتم طبخها، وصقلت أتم الصقل بمكة، على أيدي فصحاء قريش، فقد انصبت جداول الفصاحة وتدفقت ينابيع البلاغة إلى مكة، بسبب وجود البيت الحرام ومن يقصده من العرب للحج والطواف فيه، بانتقاء مفرداتها وصيغها وتراكيبها، فأكسبها ثروة عظيمة من خلاصة ألسنة العرب الوافدين إليها، وقد علا من شأن قريش، وارتفع من قدرها أن صارت حارسا على لغة العرب، بل صارت هي الحكم فيها عند الاختلاف والتنازع، فسوق عكاظ - مع غيره من سائر الأسواق - الذي تجتمع العرب فيه كل سنة لإلقاء القصائد، والمدائح، والمفاخر صارت قريش هي سيدةَ القصيدة، والحاكمة بجودتها، والقاطعة بقبولها، فقد أحكمت قريش اللغة العربية أيما إحكام، فحق لها أن تفخر بلغتها تيكم، فبعث الله نبيه في قلب المجتمع المكي، ومن لسانه وجاءهم بكتاب لم يخرج عن لسانهم، ونظام كلامهم قِيد أَنملة وتحداهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة، أو بآية فلم يقدروا على شيء منه، بل ولم يؤثر عنهم أي محاولة، إلا عمن كان غريبا عن قريش، قصد به جلب الأطماع وتكثير الأتباع، ذلكم هو مسيلمة الكذاب، ولكنه قد خسر وخاب، وصارت محاولته في تباب، وانتكس على وجهه وسد عليه الباب، وما صنيعه إلا كصنع فرعون مع قومه، فاستخفهم فأطاعوه.

قال الله - عز وجل -: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[1] وقال: ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾[2] وقال - في البقرة -: ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾[3] وقال - في يونس -: ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾[4] وقال - أيضا -: ﴿ أم يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾[5] ومع هذا التحدي ولو بآية وحدة لم يقدروا عليها، بل إن الله - تعالى - أخبرهم أن هذا الكتاب الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - مكون من حروف، هي الحروف التي تتكلمون بها، وتركبون منها كلامكم، ولم يأت بحروف لاتعرفونها، مبالغة في التحدي، لذا صُدِّرت أكثر السور المكية بحروف مقطعة، مثل: الم، المص، المر، الر، كهيعص، حم عسق، ونحوها، للمبالغة في التحدي، وإظهار العجز.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة، مع شدة عداوتهم له، وبغضهم لدينه، ومع هذا عجزوا عن ذلك، ولذا قال - تعالى -: ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾[6] ولن لنفي

(١) سورة الإسراء آية: (٨٨).

(٢) سورة هود آية: (١٣).

(٣) سورة البقرة آية: (٢٣).

(٤) سورة يونس آية: (٣٨).

(٥) سورة الطور آية: (٣٣-٣٤).

(٦) سورة البقرة آية: (٢٤).

التأبيد في المستقبل[١]، أي: ولن تفعلوا ذلك أبدا، وهذه أيضا معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا، مُقدِمٌ غيرُ خائف، ولامشفق أنَّ هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين، ودهر الداهرين، وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا، ولا يمكن. إلى أن قال - رحمه الله -: ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية، من حيث اللفظ ومن جهة المعنى[٢]. اهـ.

الغرض منه:

وليس الغرض من هذا أن أتكلم عن إعجاز القرآن، فهذا باب واسع وبحر غوره شاسع، لايمكن الإحاطة به، وإنما الغرض التنبيه على المعجزة التي أوتيها نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنها باقية أبدا، مع بقاء هذا الدين، والله - تعالى - أعلم.

---

(١) هذا هو الحق في لن، وأنها في اللغة العربية تأتي لنفي المستقبل، ما لم تدل قرينة على صرفها عن هذا الأصل، فيجب الأخذ بها، ولا حجة فيها للمعتزلة ولالغيرهم في القول بنفي رؤية الباري - عزوجل - يوم القيامة، مستدلين بقوله - تعالى - لموسى: ﴿ قال لن تراني ﴾ فإن الله نفى الرؤية في الدنيا، لأن موسى طلبها في الدنيا، فجاء النفي من جنس الطلب، ومثله قوله - تعالى -: ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا ﴾ ومع ذلك فقد قال: ﴿ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ لأن نفي تمني الموت كان في الدنيا، والتمني الذي وقع منهم إنما هو في الآخرة، وهذا غير ذاك ونظائر هذا في القرآن كثير. والله أعلم.

(٢) تفسير ابن كثير: (١/٦٠)

القرآن الكريم

القرآن الكريم هو: ما أنزله الله - تعالى - على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - من كلامه المعجز، بما فيه من قراءات ثابتة متعددة فهو كلام الله، وقد اشتمل هذا الكتاب المترل على محمد - صلى الله عليه وسلم - على ألوان متعددة من الخطاب، على أخبار ماضية وحوادث واقعة، وغيبيات مستقبلة، وعلى عقائد باطنة، وشرائع سامية، من أوامر ونواهي وأخلاق وآداب، وكل هذا نزل بلسان عربي مبين، إلا أن هذا اللسان قد يعتريه غموض تارة، واستغلاق تارة أخرى، لا من جهة نفسه، ولكن من جهة سامعه وتاليه، فعند هذا يُرجع فيما صَعب فهمه، وتعذر إدراكه إلى المتكلم به، فالمتكلم أعلم بكلامه، وأدرى بمراده من غيره، فأحسن مايفسر به مراد المتكلم هو كلامه إن وجد، فإذا وجد ما يفسر الآية من القرآن فلا يجوز العدول عنه إلى غيره، وهذا باب عظيم، من فتح له فيه فقد أدرك علما عظيما، وخيرا وفيرا، فأحسن مايفسر به القرآن القرآن سواء أكان معنى من معاني المفردات، أم حكما من أحكام الآيات أم قصصاً من أخبار الأولين، فكل هذا قد جاء في القرآن أمثلة كثيرة له.

فما أكثر المعاني التي يكون فيها غموض، أو اشتراك ويأتي بيانها وإيضاحها في موضع آخر كقوله - تعالى -: ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾[1] في سورة الزخرف، جاء تفسيرها في سورة يوسف: ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾[2] فكان فيه قطع لدابر المعتزلة في الاحتجاج بهذه الآية على القول بخلق القرآن، لأن الله - تعالى - فسر جعل بمعنى أنزل، وهو أعلم بمراده من المعتزلة حين فسروها بمعنى خلق، فالغموض قد يكون في مفردة ويأتي بيانها في سورة أخرى

(١) سورة الزخرف آية: (٣)

(٢) سورة يوسف آية: (٢)

وربما جاء بيانها في السورة نفسها، بل بعدها مباشرة، كقوله - تعالى -: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾[١] جاء تفسير[٢] الهلوع بأنه الذي: ﴿إذا مسه الشر جزوعا۞وإذا مسه الخير منوعا﴾[٣]،وقوله: ﴿القارعة۞ما القارعة۞وماأدراك مالقارعة﴾[٤] فسرها بعدها بقوله[٥]: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث۞وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾[٦]وقد يعرف معنى المفردة القرآنية من المقابلة كقوله -تعالى -:﴿فانفروا ثبات أو انفروا جميعا﴾[٧]علم معنى ثبات بأنه متفرقين،من قوله جميعا،بالمقابلة وكقوله: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾[٨] هو من المقابله،فالنسيان المضاف إلى الله - تعالى - هو من جنس النسيان المضاف إليهم،وأنه:الترك المتعمد، لأن هؤلاء المنافقين قد نسوا الله بمعنى تركوا توحيده عمدا لا غفلة، لأن نسيان الغفلة لا مؤاخذة فيه، لقوله - تعالى-: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[٩] فقابل الله - تعالى- نسيانهم: - الذي هو بمعنى:الإعراض عن الله - بنسيانه إياهم، الذي هو:إعراضه عنهم، جزاء وفاقا،وهكذا قوله - تعالى -: ﴿قل من يرزقكم من السماء

---

(١) سورة المعارج آية: (١٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير: (٤/٤٢١).

(٣) سورة المعارج آية: (٢٠، ٢١).

(٤) سورة القارعة: آية: (١، ٢، ٣).

(٥) انظر تفسير ابن كثير: (٤/٥٤٣).

(٦) سورة القارعة: آية: (٤، ٥).

(٧) سورة النساء آية: (٧١).

(٨) جزء من آية: (٦٧) من سورة التوبة وهي قوله تعالى:﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾.

(٩) قطعة من آية: (٢٨٦) من سورة البقرة

والأرض ﴾[1]، وقوله: ﴿ إن الله يعلم ما في السماء والأرض ﴾[2]، وقوله: ﴿ وما من غائبة في السماء والأرض ﴾[3] ونحوها المراد بالسماء هنا السقف المحفوظ، والبناء المحكم، وإن كان يطلق في اللغة على العلو، وقد جاء به القرآن، إلا أن الذي يميز هذا الاشتراك هو المقابلة، فإذا جاءت السماء مقابلة للأرض، كما في هذه الآيات كان المراد بها البناء المحكم، وإذا جاءت من غير مقابلة فمحتملة فتطلب القرينة المزيلة للاشتراك، كقوله - تعالى -: ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾[4] فقوله: بنيناها قرينة على أن المراد بها البناء المحكم وكذلك قوله - تعالى -: ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ﴾[5] فقوله بناء قرينة على أن المراد بها البناء المحكم، والسقف المحفوظ، إضافة إلى مقابلتها بالأرض، وكذا كقوله - تعالى -: ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾[6] فالسماء هنا العلو قطعا، لأن الشجرة يستحيل في العادة أن يبلغ فرعها السقف المحفوظ، فهذه قرينة ميزت أحد المعنيين من الآخر.

وكذلك الحكمة لها في اللغة العربية عدة معاني، جاء القرآن ببعضها لكنها إذا وردت مقابلة بالقرآن فمعناها السنة النبوية، كقوله - تعالى -: ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾[7] وقوله:

---

(١) سورة يونس آية: (٣١).

(٢) سورة الحج آية: (٧٠).

(٣) سورة النمل آية: (٧٥) .

(٤) سورة الذاريات آية: (٤٧) .

(٥) جزء من آية: (٢٢) من سورة البقرة.

(٦) سورة إبراهيم آية: (٢٤) .

(٧) سورة النساء آية: (١١٣).

﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾[١] **أي السنة، لمجيئها في مقابلة القرآن.**

وأما قوله - تعالى -: ﴿ يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾[٢] **فمعناه إصابة الحق، وكذا قوله - تعالى - عن نبيه داود - عليه السلام -:** ﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾[٣] **قيل معناها: الفهم، والاهتداء إلى الصواب، وقيل النبوة.**[٤]

وربما كان سبب الإشكال هو الاشتراك اللغوي، كإطلاق القرء على الحيض والطهر معا، فمُيِّز أحدهما عن الآخر بالقرينة اللغوية، وأنه الطهر، لقوله - تعالى -: ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾[٥] **وتأنيث العدد يدل على تذكير المعدود، وأنها ثلاثة أطهار ولو أراد الحيضات**[٦] **لقال: ثلاث قروء.**

وكذلك قوله - تعالى -: ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون ﴾[٧] **دل على أن النفخات ثنتان، لأن لفظة أخرى في اللغة العربية يؤتى بها لختام العدد، وأنه لاعدد**

---

(١) سورة الأحزاب آية: (٣٤) .

(٢) سورة البقرة آية: (٢٦٩)

(٣) سورة ص آية: (٢٠)

(٤) انظر تفسير ابن كثير: (٢٦/٤)

(٥) جزء من آية: (٢٢٨) من سورة البقرة

(٦) هذه المسألة فيها قولان مشهوران للسلف والخلف، اختار الأول منهما مالك والشافعي - رحمة الله عليهما - وهو رواية عن الإمام أحمد، واختار الثاني أبو حنيفة وأصحابه، وهو أصح الروايتين عن أحمد - رحمة الله علي الجميع - وقال الإمام أحمد - رحمه الله - الأكابر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون الأقراء: الحِيَض. اهـ وانظر تفسير ابن كثير: (٢٧٠/١)

(٧) جزء من آية: (٦٨) من سورة الزمر

بعده، سواء أكان مركبا من عددين أم أكثر كقوله - تعالى -: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾[1] أي التي لارابع لها وهذا شيء معروف من لغة العرب، ومستفيض فيها.

وربما كان السياق القرآني وحده كافيا لإزالة الاشتراك، وفك الاشتباك بين اللفظتين، أو الألفاظ، كلفظة خير - مثلا -، ففي اللغة العربية لها معاني متعددة، قد نزل القرآن بجملة منها، ربما التبست بعض معانيها على المفسر، لكنه إذا استعصم بالسياق، وتعلق بالسباق زال الإشكال، كقوله - تعالى -: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾[2] المراد بالخير - هنا -: المال، في أصح وجوه التفاسير وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطاء، في الصحيح عنهم، وهو اختيار ابن جرير[3]، وليس المراد به الخير المقابل للشر، الذي هو صلاح الدين باكتساب الفضائل، فهذا ليس شرطا في صحة الكتابة، لأن الخير يطلق على هذا وهذا، كماقال - تعالى -: ﴿إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف﴾ الآية[4] فالمراد به المال، ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾[5]: المال أيضا، وهكذا، فالسياق دل على أن الخير في آية النور المراد به المال، حيث إنها في الكتابة، وهي تستلزم بذل المال بل هو ركن من أركانها، ولا يشكل على هذا كونه عدى الفعل بفي ولم يقل: إن علمتم لهم خيرا، لأن المملوك لايملك فلم يضف الخير إليه، وإنما أضافه إلى صفة نامية فيه، وهي القدرة على الكسب، فهو من باب التضمين، فإن وجدت - مع طلبه - صحت الكتابة، بل وجبت - على الصحيح - وإلا لم يجب على

(١) سورة النجم آية: (٢٠)

(٢) قطعة من آية: (٣٣) من سورة النور

(٣) راجع تفسير ابن جرير: (١٢٧/١٨)، والقرطبي: (٢٤٥/١٢) والتفسير الصحيح: (٤٦٨/٣).

(٤) قطعة من آية: (١٨٠) من سورة البقرة

(٥) سورة العاديات آية: (٨)

السيد أن يستجيب لطلب مملوكه، لأنه لن يستطيع الوفاءَ بعقد الكتابة، بل ربما دفعته إلى السعي في تحصيل المال من طرق غير مشروعة، كالتسول، والسرقة ونحوها من السبل الممقوتة، والمكاسب المحرمة، والله أعلم بالصواب.

كذالك الأرض جاءت في القرآن مقرونة بأل الدالة على العموم فأخذ بعض المفسرين بعمومها، ولم يلتفت إلى السياق، فوقع في الإشكال، ولو نظر إلى سياقها، ورجع القهقرى إلى سباقها لأغناه عن غيره، ولبان له معناها، وانكشف له مغزاها، كقوله - تعالى -: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[١] فهم بعض أهل العلم من النفي العموم، وأن المراد إخراجهم من أقطار المعمورة، فقال بعضهم: يشردون حتى لايتركون يأوون إلى بلد، وقال بعضهم: يحبسون، لأن المحبوس قد نفي من الأرض، بسبب منعه من التصرف فيها بالسعي والحركة والسير بحرية[٢]، وكل هذا سببه الغفلة عن السياق، لأن المراد أن ينفوا من الأرض التي ارتكبوا فيها الفاحشة، ووقعت فيها الجريمة فأل في الأرض الأولى للعهد الذهني، وفي الثانية للعهد الذكري، وهذا كثير في آيات القرآن كقوله - تعالى -: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾[٣] المراد مما كان من سلطان فرعون وملكه.

وكذلك القرية تطلق على المساكن فقط، وتطلق على السكّان والمساكن معا في لغة العرب، وقد جاء القرآن بهذا وهذا، فمن الأول قوله تعالى: ﴿أو كالذي مر على

(١) سورة المائدة آية: (٣٣)

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص: (٤٠٠)

(٣) بعض آية: (١٣٧) من سورة الأعراف

قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾[1]، **ومن الثاني قوله تعالى:** ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾[2]، **وقوله:** ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ﴾[3] **ومن المعلوم من لغة العرب، بل ببداهة العقول أن الذين أخرجوا النبي - صلى الله عليه وسلم - هم المشركون، الذين هم أهل القرية، أي مكة، كما أنه معلوم - أيضا - أن المراد بقوله: واسأل القرية، أي سكانها، لأن الإخراج والسؤال لايتوجه إلى الجمادات، والسبب أن العرب تطلق القرية على هذا وهذا، ولو كانت القرية لا تعرف في لغة العرب إلا بالمعنى الأول لأمكن الطعن في القرآن، ولوجد المشركون لهم متنفسا للنيل منه ومعارضته.**[4]

أما الأحكام فكقوله - تعالى -: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾[5] **اختلف أهل العلم بالتفسير في إبليس هل هو من الملائكة أو ليس منهم؟ على قولين مشهورين، وبالنظر في آيات القرآن الكريم يتضح جليا أن إبليس ليس من الملائكة، وإنما هو من الجن - في أصح التفسيرين - لقوله - تعالى -:** ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾[6] **وهذا صريح في أنه ليس من الملائكة، وأصرح منه قوله - تعالى -:** ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار

(١) سورة البقرة جزء من آية: (٢٥٩)

(٢) سورة محمد آية: (١٣)

(٣) سورة يوسف آية: (٨٢)

(٤) وانظر معاني القرآن للزجاج: (٢/٣٥٩)

(٥) سورة البقرة آية: (٣٤)، وسورة بني إسرائيل آية: (٦١) وسورة الكهف آية: (٥٠)

(٦) سورة الكهف آية: (٥٠)

وخلقته من طين﴾ [١] وثبت في صحيح مسلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[٢] فبهذا التقرير يزول الإشكال الذي في الآية، ويتضح الحكم، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن إبليس من الجن، بإخبار الله - تعالى - عنه، وباعترافه بأصله، فلا مجال للمغالطة بعد هذا البيان.

كذلك قوله - تعالى - في الأنعام: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس﴾[٣] ظاهر الآية قصر المحرمات على مافي هذه الآية، وكذا قوله - تعالى -: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم﴾[٤] ثم بين ما أجمل في الأنعام وفسر ما وعد به في المائدة بقوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾[٥] فبهذا التفصيل علم أن آية الأنعام تلك مجملة لأنها مكية، فليست المحرمات مقصورة على ما ذكر فيها، كما قال به من قال من أهل العلم[٦]، وليس فيها - أيضا - نفي الزيادة على المذكورات، لقوله - فيها -: قل لا أجد أي الآن، ولا هذه هي النافية، وهي تختلف عن لن النافية، فالأولى لنفي الحاضر، والأخرى لنفي الحاضر والمستقبل، كما هو معلوم من لغة العرب. وكذلك قوله

(١) بعض آية: (١٢) من سورة الأعراف

(٢) خرجه مسلم من حديث عائشة، كتاب الزهد والرقائق: (٤/٢٢٩٤)

(٣) بعض آية: (١٤٥) من سورة الأنعام

(٤) جزء من آية: (١) من سورة المائدة

(٥) بعض من آية: (٣) من سورة المائدة

(٦) تفسير ابن كثير: (٢/١٨٤)

- تعالى - في أصحاب الكهف -: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾[1] الآية، اختلف الناس في عددهم وبإمعان النظر في قصتهم يزول الإشكال، لأن الله - تعالى - ذكر قولين مما ادعاه أهل الكتاب في عددهم، فقال: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ هذا قول، ثم قال: ﴿ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾[5] فهذان قولان، فأبطلهما الله - تعالى - بقوله: ﴿رجما بالغيب﴾، ثم ذكر قولا آخر، فقال: ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ فأقره ولم يبطله كما فعل في القولين المتقدمين[2]، لأن الله - تعالى - لا يقر الأقوال الباطلة، التي يذكرها أهل الكتاب، أو المشركون، أو المنافقون، فما كان في أقوالهم من باطل أبطله ودحضه، وما كان فيها من حق أقره وأثبته، فمن دعاوى المشركين ما أخبر الله به عنهم بقوله - تعالى -: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾[3] فأقرهم على قولهم: وجدنا عليها آباءنا لأنه حق، قد وجدوا عليها آباءهم، وأبطل دعواهم بأن الله أمرهم بها، فقال: ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي كذبتم، لم يأمركم بها، ومن دعاوى المنافقين قوله - تعالى -: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾[4] فأبطل الله - تعالى - دعواهم الحسنى، وبين كذبهم بقوله: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد

(١) قطعة من آية: (٢٢) من سورة الكهف

(٢) انظر تفسير السعدي: (٢٣/٥)

(٣) سورة الأعراف آية: (٢٨)

(٤) سورة التوبة آية: (١٠٧)

إن المنافقين لكاذبون ﴾[١] وهذا كثير في القرآن استقصاؤه يخرج بنا عما انتصبنا له من بيان تفسير القرآن بالقرآن.

وكذلك قوله - تعالى -: ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾[٢] فُسِّرت في سورة النور بأوضح من هذا بقوله: ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾[٣] ومثله قوله - تعالى -: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ﴾[٤] فسرها بقوله: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾[٥]، وهذا كثير جدا، يصعب حصره، ويعسر استقصاؤه، ولكن غرضنا من هذا هو التمثيل لما ذكرناه، والله أعلم.

وكذا بيان القرآن بعضه ببعضه في مواطن القصص، فهذا أكثر الأنواع وجودا في القرآن، فكم من قصة في القرآن اختصرت في موضع، وجاء بسطها في موضع آخر بأوسع من الأول، كقصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون ونحوها، فقصة آدم وإبليس ذكرت في القرآن سبع مرات، في البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء والكهف، وطه، وسورة ص، فيؤخذ مجموع القصة من المواطن التي وردت فيها، فما نقص في مكان استوفي من غيره،

(١) سورة المنافقون آية: (١)

(٢) سورة الأحزاب آية: (٥٥)

(٣) بعض آية: (٣١) من سورة النور.

(٤) سورة الدخان آية: (٣).

(٥) سورة القدر آية: (١).

وهكذا، ففي البقرة قال الله - تعالى -: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴿وعلم أدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحنك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني اعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوا ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1] **هذه هي أول علاقة إبليس بآدم، وموقفه منه، من بداية خلق الله له، وتعجب الملائكة من خلقه، وبيان العلة، والغاية التي خلقه الله من أجلها، وإظهار فضله على الملائكة، وإقرارهم بهذا الفضل، وامتناع إبليس من السجود له، واعتراضه على خلقه واغتراره بأصله، وقد ذكر الله - تعالى - كيفية خلق آدم في بعض مواطن القصة، فقال - في آل عمران -:** ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[2]، **وقال - في سورة الحجر -:** ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون﴾[3]، **وقال - في الأعراف -:** ﴿أنا

(١) سورة البقرة من آية: (٣٠) إلى آية: (٣٨).

(٢) سورة آل عمران آية: (٥٩).

(٣) سورة الحجر آية: (٢٨).

خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[١]، وكذا في الإسراء: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا﴾[٢] فقد تكررت القصة في غير ما موضع من القرآن،مع زيادات في بعضها ،ونقص،واختلاف في ألفاظها، إلا أن المعنى العام للقصة لم يقع فيه اختلاف، والعلة في هذا هي أن الله - تعالى، وتقدس- قد قصها علينا بالمعنى، لأن الحوار الذي وقع بين آدم وإبليس كان بغير العربية،فترجمت القصة فوقع بسبب الترجمة اختلاف في الألفاظ،كما في سائر القصص التي ترد أكثر من مرة، وهو لايضر، ولهذا وقع فيها كما وقع في غيرها من آي القرآن ألفاظ توهم الاضطراب، كإخباره - في القصة - أنه خلق آدم من تراب، وتارة من حمأ مسنون، وتارة من طين، ووصف الطين تارة بأنه لازب، وتارة أخلاه من الوصف، وهذا لايعد اضطرابا بل هذه هي مراحل خلق آدم، وأطواره، فقد مر بأربعة أطوار وذلك أن التراب إذا صب عليه الماء صار طينا، فإذا وضع في الشمس، وتحجر صار صلصالا، ثم نفخ فيه الروح، فصار بشرا سويا، فهذه أطوار أصل الإنسان - الذي هو آدم - أربعة، وكذلك أطوار نسله، وذريته، أربعة - أيضا -، النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم ينفخ فيه الروح، فيكون بشرا سويا، قال الله - تعالى - ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم﴾ الآية[٣]، ولهذا جمع الله - تعالى - الحديث عن الأصل والنسل في سورة السجدة بقوله: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه

(١) بعض آية: (١٢) من سورة الأعراف.

(٢) سورة بني إسرائيل آية: (٦١).

(٣) جزء من آية: (٥) من سورة الحج.

وبدأ خلق الإنسان من طين﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾[1] لهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بها في صلاة الفجر من يوم الجمعة[2]، الذي خلق الله فيه آدم - عليه السلام - تذكيرا للناس بأصل الخلق، وقد نوه الله - تعالى - عن هذا في القرآن الكريم بقوله: ﴿مالكم لاترجون لله وقارا﴿وقد خلقكم أطوارا﴾[3]

ويدخل في هذا المصدر ذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، فهو باب واسع يعسر الإحاطة به، وإنما غرضنا هو التنبيه على هذا المصدر العظيم بذكر أمثلة منه، ووجوب اللجوء إليه أولاً، وقبل كل شيء، عند الشروع في تفسير القرآن الكريم، وليس الغرض هو حصر الآيات الواردة في القرآن، واستقصاؤها.

نشأة هذه القاعدة وتطورها:

وهذه الطريقة التي هي تفسير القرآن بالقرآن لم تكن شيئا غريبا أوحدثا جديدا، بل إنَّ أول من سنها هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يفسر لأصحابه ما أشكل عليهم من آي القرآن مستنيرا بهذا المنهج، لما ثبت في الصحيحين[4] من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما نزلت: ﴿الذين

(١) سورة السجدة آية: (٧، ٨).

(٢) أخرج الشيخان، من حديث أبي هريرة قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿آلم تنزيل﴾ السجدة و: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ خرجه البخاري في صحيحه، كتاب سجود القرآن: (٥٠/٢)، ومسلم، كتاب الجمعة: (٥٩٩/٢).

(٣) سورة نوح آية: (١٣، ١٤).

(٤) خرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب الأنبياء: (١٧٢/٤) وكتاب التفسير، سورة الأنعام: (٧٢/٦)، وكتاب إستتابة المرتدين: (١٧/٩) مع اختلاف في ألفاظه، ومسلم كتاب الإيمان: (١١٤/١).

آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾[١] قلنا: يارسول الله أينا لايظلم نفسه ؟ قال: «ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يا بني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[٢]» وفي الصحيح - أيضا - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يأيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة، غرلا، ثم قال: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾[٣]» إلى آخر الآية[٤]

فتأسى علماء الأمة بنبيهم، مرورا بعهد الصحابة، فالتابعين، حتى جاء عصر التأليف، فأفشى ابن جرير الطبري، شيخ المفسرين - رحمه الله - سر هذه الطريقة، وسار عليها في تفسيره - جامع البيان - في آيات كثيرة منه، فعند قوله - تعالى -: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾[٥] يرجح أن الختم على القلوب، وعلى الأسماع فقط، والغشاوة على الأبصار[٦]، مستدلا بقوله - تعالى - في سورة الجاثية: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[٧]، وكذلك قوله - تعالى -: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾[٨] نقل

(١) سورة الأنعام آية: (٨٢).

(٢) جزء من آية: (١٣) من سورة لقمان.

(٣) سورة الأنبياء، آية: (١٠٤).

(٤) خرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، سورة المائدة: (٦٩/٦).

(٥) سورة البقرة آية: (٧).

(٦) تفسير ابن جرير: (٢٦٢/١).

(٧) قطعة من آية: (٢٣) من سورة الجاثية.

(٨) سورة آل عمران آية: (٩٢).

أقوال السلف فيها[1]، ثم قال: هي كقوله: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾[2].

ثم تتابع علماء التفسير على هذا المنهج، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر[3]. اهـ.

ثم جاء الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فشهر هذه الطريقة، ونشرها وسار على جادتها في تفسيره، وشحنه بها، اقتداء بإمامة ابن جرير - رحمه الله - فنسبها أكثر الناس إليه، بسبب إكثاره منها، قال - رحمه الله -: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر[4]. اهـ.

و قال السيوطي - في التحبير -: قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فإن ما أجمل في مكان قد فسر في مكان آخر[5]. اهـ، ومثله في الإتقان [6]

---

(١) تفسير ابن جرير: (٦/٥٨٨).

(٢) سورة الإنسان آية: (٨).

(٣) مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: (٩٣).

(٤) تفسير ابن كثير: (١/٣).

(٥) التحبير في علم التفسير ص: (٣٢٣).

(٦) الإتقان في علوم القرآن: (٤/١٧٤).

ومازال العلماء بالتفسير على هذا، حتى صنف العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - فيه كتابا قيما، سماه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ذكر فيه كثيرا مما يدخل تحت هذه القاعدة من آيات القرآن الكريم.

وهكذا كانت نشأته، ومراحل تطوره، حتى صار شيئا ثابتا، وأمرا لازما لكل مفسر للقرآن الكريم.

قيمة القراءات في التفسير:

وقد ساعد على قوة هذه القاعدة، وإثرائها القراءات المتعددة في بعض حروف القرآن الكريم، سواء في هذا المتواتر منها والشاذ، فربما عسر فهم الآية أو تعذر على قراءة ما، فجاء بيانها في القراءة أو القراءات الأخرى، فيزول بها الإشكال، فمن المتواتر - مثلا - قوله - تعالى -: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾[1] قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿فتُذْكِرَ إحداهما الأخرى﴾ أي: تجعلها ذكرا في الحكم، قال أبو عمرو: إذا شهدت على شهادة، ثم جاءت الأخرى فشهدت معها أذكرتها، أي جعلتها ذكرا. أهـ من الحجة[2]، وهذا الحرف مشكل مع قوله قبله: ﴿أن تضل﴾ والضلال معناه النسيان، وعدم التذكر، لكن بانضمام القراءة الأخرى إليها يزول الإشكال، وهي قراءة بقية السبعة[3]: ﴿أن تضل إحداهما فتُذَكِّرَ إحداهما الأخرى﴾ وأن المعنى: إذا نسيت المرأة الشهادة فذكرتها أختها، أي لقنتها، حتى ذكرت، قبلت شهادتها، وفيها دليل على جواز تلقين الشاهد وتذكيره حتى يتذكر، رجلا كان أم امرأة.

(١) قطعة من آية الدين في البقرة: (٢٨٢).

(٢) الحجة لابن زنجلة ص: (١٥٠ - ١٥١).

(٣) وهم: عاصم، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وحمزة.

وقوله - تعالى - : ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[1] قرأ حمزة وحده: ﴿تساءلون به والأرحامِ﴾ بكسر الميم من الأرحام[2]، وقد أشكلت قرآءة حمزة هذه، حتى تجرأ قوم على ردها، لمخالفتها لقواعد اللغة العربية، على زعمهم.

قال سيبويه[3]: لايجوز عطف الظاهر على المكني المخفوض من غير إعادة الخافض إلا في ضرورة الشعر، وأنشد:[4]

فاليوم قربت تهجــونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيــامِ من عجب

وقال الزجاج[5]: إجماع النحويين أنه يقبح أن ينسق باسم مظهر على اسم مضمر في حال الخفض إلا بإظهار الخافض، إلى أن قال - أيضا -: الخفض في «الأرحام» خطأ في العربية، لايجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأ في الدين، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لاتحلفوا بآبائكم». أهـ[6]

قال ابن الأنباري[7]: إنما أراد حمزة الخبر عن الأمر القديم، الذي جرت

---

(١) سورة النساء آية: (١).

(٢) الحجة لأبي على: (١٢١/٣)، ولابن زنجلة ص: (١٨٨)، والسبعة لابن مجاهد ص: (٢٢٦)، والكشف لمكي: (٣٧٥/١).

(٣) الكتاب: (٣٨٣/٢).

(٤) البيت في الكتاب: (٣٨٣/٢)، وشرح السيرافي: (٢٠٧/٢) والإنصاف: (٤٦٤/٢)، بغير نسبة.

(٥) معاني القرآن: (٢/٢) وحكاية الإجماع منقوضة بما ذكره ابن الأنباري في الإنصاف: (٤٦٣/٢) من الخلاف في المسألة بين الكوفيين والبصريين.

(٦) خرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله - تعالى -: (١٤٧/٩)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١٢٦٧/٣).

(٧) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر ابن الأنباري، النحوي، كان من أعلم الناس =

به عادتهم، فالمعنى: الذي كنتم تسآءلون به، وبالأرحام في الجاهلية.أهـ[١]

وقال مكي: هو قليل في الاستعمال، بعيد في القياس، لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان، يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر ويقبح في أحدهما ما يقبح في الآخر، فكما لايجوز: فاتقوا الله الذي تسأءلون بالأرحام و(هـِ) فكذلك لايحسن تساءلون به ولأرحامِ. أهـ[٢]

وليس فيها إشكال إذا ضمت إلى قراءة الجماعة، بفتح الميم من الأرحام، فالمعنى - على قراءة الجماعة -: واتقوا الله - تعالى - بفعل أوامره واجتناب نواهيه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أي: اتخذوا الأسباب الواقية من قطيعة الرحم، وهذا معنى بين واضح لاخفاء فيه، أما قراءة حمزة - رحمه الله - فهي قراءة صحيحة، لا مطعن فيها، لأن القراءة سنة مأثورة، وليست من عند حمزة، ولا من عند غيره، بل هي من كلام الله - تعالى - وليست مخالفة لقواعد العربية، ولو خالفت - على الفرض - فلا عبرة بخلف اللغة، مع مجيئها في القرآن، وليست اللغة حَكَمَاً على القرآن، بل القرآن هو الذي يحكم اللغة، فكل مافي القرآن فهو بلسان عربي مبين، لا مطعن فيه ألبتة، وما تمسكوا به فليس لهم به متمسك، ودعواهم أنه يقبح عطف الظاهر على المضمر المخفوض، من غير

= بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظا له، له كتاب في معاني القرآن توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

إنباه الرواة: (٢٠١/٣)، وبغية الوعاة: (٢١٢/١)، وتاريخ بغداد: (١٨١/٣).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير: (٣/٢)، وهذا باطل لأن الله - تعالى - لايقر أقوال المشركين على ماهي عليه، حتى يبطلها، كما تقدم ص: (٣٨).

(٢) الكشف عن وجوه القرآءآت السبع لمكي: (٣٧٥/١ - ٣٧٦)، وهذا - أيضا - ليس بشيء، لأن القرآءة ليست من عند حمزة - رحمه الله -، وإنماهي سنة مأثورة، منقولة بالتواتر، كغيرها من القرآن. وانظر رموز الكنوز: (٣٥٤/١) وما بعدها.

إعادة الخافض واعتباره خطأ في العربية مردود، فقد جاء في القرآن في غير هذا الموضع عطف الظاهر على المضمر من غير إعادة الجار ففي قراءة الجماعة قوله - تعالى -: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجدِ الحرام﴾[1] فقد عطف المسجد الحرام على الضمير في به في قوله: ﴿وكفر به﴾، ولم يدخل حرف الجر على المسجد الحرام، أي: وكفر به وبالمسجد الحرام، على أصح وجوه الإعراب فيه، ثم إن معنى قراءة حمزة على القَسَم، فالواو في قوله: والأرحامِ واو القسم، فالله - عز وجل - أقسم بالأرحام أنه على عباده رقيب، فيكون معنى الآية: واتقوا الله الذي تساءلون به أي: اتخذوا وقاية من عذابه وأقسم بالأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا، والله - جل وعلا - له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، كقوله - تعالى -: ﴿والليل إذا يغشى﴿والنهار إذا تجلى﴿وما خلق الذكر والأنثى﴿إن سعيكم لشتى﴾[2] وبهذا التقرير يزول الإشكال في القراءتين والحمد لله وحده.

وكذلك قوله - تعالى -: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء﴾ الآية[3] قرأ الجماعة: لامستم، بألف بعد اللام، وقرأ حمزة والكسائي: لمستم بغير ألف هنا، وفي المائدة [4] وقد أشكلت هاتان القراءتان على المفسرين، فحملوا قرآءة حمزة والكسائي على اللمس باليد، وقراءة الجماعة على الجماع، والظاهر أن لا فرق، فكلاهما المراد به الجماع، وقراءة الجماعة فيها مبالغة عريت قراءة حمزة عنها، فإن اللمس، والملامسة

(١) سورة البقرة آية: (٢١٧).

(٢) سورة الليل آية: (١، ٢، ٣، ٤).

(٣) سورة النساء آية: (٤٣).

(٤) الحجة لابن زنجلة ص: (٢٠٤).

والمس في القرآن الكريم إنما قصد به الكناية عن الجماع، قال - عز وجل -: ﴿لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾[١] **وقال:** ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾[٢] **وقال - عز وجل -:** ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ [٣]

فكل هذا كناية عن الجماع[٤]**، كما هو معلوم من لغة العرب ومذهب جماعات من الصحابة**[٥] **والتابعين، ثم في آية المائدة قد ذكر الله - تعالى - موجب الحدث الأكبر، وموجب الحدث الأصغر في الطهارة المائية، والترابية، ففي الطهارة المائية قال - تعالى -:** ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا بوجوهكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾[٦] **هذه الطهارة المائية من الحدث الأصغر:** ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾**، هذه الطهارة المائية من الحدث الأكبر:** ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أوجاء أحدمنكم من الغائط﴾ **هذه الطهارة الترابية من الحدث الأصغر:** ﴿أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾[٢] **هذه الطهارة الترابية من الحدث الأكبر، ولوفسرت الملامسة**

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٣٦).

(٢) سورة البقرة آية: (٢٣٧).

(٣) سورة الأحزاب آية: (٤٩).

(٤) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - كل مس في القرآن أضيف للنساء فهو الجماع. وانظر تفسير ابن كثير: (١/٥٠٢).

(٥) وهو قول علي وابن عباس - رضي الله عنهم - أخرجه ابن جرير: (٨/٣٨٩)، وابن أبي حاتم: (٣/٩٦١)، وأخرج البيهقي قول ابن عباس وحده في الكبرى: (١/١٢٥).

(٦) سورة المائدة آية: (٦).

بمجرد اللمس باليد لكانت الآية ذكرت الطهارة الصغرى الترابية مرتين، وأغفلت الطهارة الترابية الكبرى، وهذا خلاف بلاغة القرآن، والمعروف من نظمه المعتاد، ولكان - أيضا - قصورا في استيفاء أحوال المكلفين.

وقوله - تعالى -: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ الآية[1] وقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الآية [2] قرأ حمزة والكسائي: فتثبتوا في الموضعين[3]، فعلم أن معنى تبينوا: تثبتوا أي اطلبوا الثبات في صدق الخبر. هذا في القراءات المتواترة، وفي الشاذ أضعاف ما في المتواتر، فمنها - على سبيل المثال - قوله - تعالى -: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾[4]، قرأها ابن عباس[5] - رضي الله عنهما -: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج﴾ بزيادة: في مواسم الحج، وقوله - تعالى -: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾[6]، قرأها سعد ابن أبي وقاص[7] - رضي الله عنه -: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس﴾ بزيادة: من أم، كذلك قوله - تعالى -: ﴿أويكون

(١) سورة النساء آية: (٩٤).

(٢) سورة الحجرات آية: (٦).

(٣) الحجة لابن زنجلة ص: (٢٠٨).

(٤) سورة البقرة آية: (١٩٨).

(٥) شواذ القرآن لابن خالويه ص: (١٢)، والكشاف للزمخشري: (١/١٣٢).

(٦) جزء من آية: (١٢) من سورة النساء.

(٧) لم أجد هذه القراءة في شيء من كتب القراءات التي تعتني بالشاذ، وانظر الكشاف: (١/٢٥٥).

لك بيت من زخرف ﴾[١]، قرأها ابن مسعود[٢] - رضي الله عنه -: ﴿ أو يكون لك بيت من ذهب ﴾، بدل من زخرف، قال مجاهد كنت لا أدري ما الزخرف، حتى رأيته في قراءة ابن مسعود. أهـ[٣].

وقوله - تعالى -: ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾[٤]، قرأها عمر بن الخطاب[٥]، وابن مسعود وابن الزبير[٦] - رضي الله عنهم أجمعين -: ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ بدل فاسعوا، فدلت على أنه ليس المراد من السعي هو الإسراع، وإنما المراد هو مجرد الذهاب إلى الجمعة، لأنه قد جاء النهي عن الإسراع وأُمر بالسكينة، حال الذهاب، إلا أن هذه القراءات المنسوبة إلى الصحابة وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين - بعضها - كما ترى - إما زيادة، وإما إبدال كلمة مكان أخرى، وكله - والله أعلم - إنما صدر منهم على سبيل التفسير للآية، لكن أهل العلم قد تلقوا هذه التفسيرات - إذا صحت نسبتها إليهم - بالقبول، واعتمدوها في كشف ما يشكل من آي القرآن، واعتبروها من قبيل تفسير الصحابي المحتج به، والله - تعالى - أعلم.

وإنما ذكرنا هذه الجملة اليسيرة من القراءات للتدليل على أن في

(١) سورة الإسراء آية: (٩٣).

(٢) تفسير القرطبي: (٣٣١/١٠).

(٣) لم أجد هذا الخبر، ولا القراءة في شيء من كتب الشواذ، لكن ذكرها القرطبي في تفسيره: (٣٣١/١٠).

(٤) سورة الجمعة آية: (٩)؟

(٥) وقد أثر عنه - رضي الله عنه - أنه كان يقرأ: ﴿ فامضوا ﴾ ويقول: لو قرأها فاسعوا لعدوت حتى يكون كذا. قال شيخ الإسلام - رحمه الله - وهذا إن صح عنه فيكون قد اعتقد أن لفظ السعي هو الخاص. اهـ انظر مجموع الفتاوى: (٢٦١/٢٢).

(٦) مختصر شواذ القرآن لابن خالوية ص: (١٥٦)، والمحتسب لابن جني: (٣٢٢/٢).

القراءات المأثورة - سواء منها الثابت وغيره - ما يستعان به على فهم الآية، وتفسر به - لاسيما - عند الاختلاف في معناها، وكثرةِ الالتباس، في مبناها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الخـــاتمة

إن كان هناك شيء يمكن أن أختم به هذه العجالة فهو القول بأن هذا المصدر العظيم يعتبر أصلا جامعا، ومهما لكل من له يد في تفسير القرآن الكريم، وأنه لا غنى لأحد عنه، فهو بحاجة إلى أن يُكتب فيه كتابة وافية، تليق بمرتبته، وتتناسب مع منزلته، ولعل الله - عز وجل - ييسر للكتابة فيه بأوسع من هذا، إنه هو البر الرحيم.

وفي الختام أسأل الله - تعالى - أن أكون قد وفقت للصواب فيما كتبته في هذه الرسالة، عن هذا المصدر، الذي لم أوفـــه حقه، وأن يجعل العمل كله خالصا لوجهه، وموصلا لمرضاته، إنه - سبحانه - هو القادر على ذلك وحده، وهوحسبنا ونعم الوكيل، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين. آمـــين

فهرس المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم السعدي:

طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، نشر دار مكتبة الحياة - بيروت

- ابن الأنباري عبد الرحمن بن محمد:

الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، طبع المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم:

مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة.

مقدمة التفسير، تحقيق د. عدنان زرزور، طبعة دار القرآن - بيروت - الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ

- ابن جرير محمد بن جرير:

جامع البيان عن تأويل القرآن، طبعة الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ

- ابن جني عثمان بن جني:

المحتسب طبعة دار سزكين، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦ هـ

- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي:

زاد المسير، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٤ هـ

- ابن خالويه الحسين بن أحمد:

مختصر شواذ القرآن، طبعة مكتبة المتنبي - القاهرة - الطبعة الأولى

- ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد:

حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت -

الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٩ هـ.

- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم:

تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة المكتبة العلمية، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١ هـ

- ابن كثير إسماعيل بن كثير:

تفسير القرآن العظيم، طبعة الحلبي بمصر

- ابن مجاهد أحمد بن موسى:

السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثانية

- أبو داود سليمان بن الأشعث:

السنن، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت

- أبو على الفارسي الحسن بن عبد الغفار:

الحجة للقراء السبعة، طبعة دار المأمون - دمشق الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ

- أحمد بن حنبل:

المسند، طبعة دار صادر - بيروت

- البخاري محمد بن إسماعيل:

الصحيح، تحقيق أحمد شاكر، طبعة إحياء التراث العربي - بيروت

- البيهقي أحمد بن الحسين:

السنن الكبرى طبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، سنة

١٣٥٥هـ

- حاجي خليفة:

كشف الظنون، طبعة دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ

- حكمت بشير:

التفسير الصحيح، دار المآثر - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ

- الخطيب البغدادي أحمد بن علي:

تاريخ بغداد، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت

- الرسعني عبد الرازق بن رزق الله:

رموز الكنوز، تحقيق د. محمد البراك، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩ هـ

- الزمخشري محمود بن عمر:

الكشاف طبعة دار المعرفة - بيروت

- السعدي عبد الرحمن بن ناصر:

تيسير الكريم الرحمن، مطبعة الدجوي - القاهرة

- سيبويه عمرو بن عثمان:

الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة المدني - القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣ هـ

- السيرافي يوسف بن أبي سعيد:

شرح أبيات الكتاب، تحقيق د. محمد علي سلطاني، طبعة دار المأمون - دمشق، سنة ١٩٧٩م

- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر:

الإتقان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية - بيروت، سنة ١٤١٨ هـ

بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩ هـ

التحبير، تحقيق د. فتحي عبد القادر فريد طبعة دار المنار - القاهرة، سنة ١٤٠٦ هـ

- القرطبي محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن، طبعة المكتبة العربية - القاهرة، سنة ١٣٨٧ هـ

- القفطي علي بن يوسف:

إنباه الرواة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦ هـ

- مسلم بن الحجاج:

الصحيح تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر رئاسة البحوث العلمية بالرياض، سنة ١٤٠٠ هـ.

- مكي بن أبي طالب القيسي:

الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق د. محيي الدين رمضان، طبع مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٤ هـ

- الهيثمي علي بن أبي بكر:

مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٢ هـ

فهرس الموضوعات

مقدمة ١٣

تمهيد: ١٦

- معجزة إبراهيم: ١٧
- معجزة موسى: ١٨
- معجزة عيسى: ١٩
- معجزة نبينا محمد: ٢١

القرآن الكريم ٢٤

- قيمة القراءات في التفسير: ٣٩

الخـــاتمة ٤٧

فهرس المصادر والمراجع ٤٨

فهرس الموضوعات ٥٢